محاضرات فيديو لاهوتيّة

الوحدة: الوصايا العشر

المحاضرة ٥:

البند ٤ – المسيح المتألّم

مُقدّم المحاضرة: القسّ كورنيلس هارينك

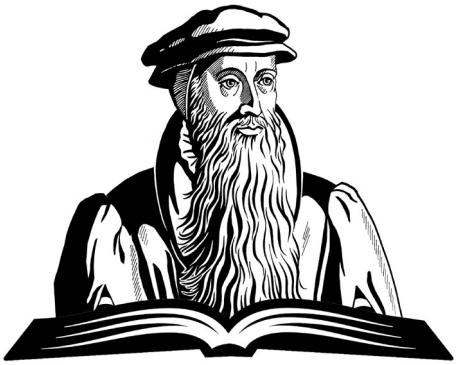

إسناد ميراثنا المُصلَح إلى الكنيسة في جميع أنحاء العالم

كليّة جون نوكس للتعليم العالي
إسناد ميراثنا المُصلَح إلى الكنيسة في جميع أنحاء العالم

© ٢٠٢١ من خلال كليّة جون نوكس للتعليم العالي

كلّ الحقوق محفوظة. لا يجوز إعادة إنتاج أيّ جزء من هذه المحاضرات بأيّ شكل من الأشكال أو بأيّ وسيلة لتحقيق الربح، باستثناء استخدام اقتباسات مُختصرة لأغراض المراجعة أو التعليق أو المنح الدراسيّة، من دون الحصول على إذن خطّي من الناشر: كليّة جون نوكس، ص. ب. ١٩٣٩٨، كالامازو، ميشيغان ٤٩٠١٩-١٩٣٩٨، الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

جميع اقتباسات النصوص الكتابيّة مأخوذة من ترجمة البستاني – فاندايك، ما لم تتمّ الإشارة إلى خلاف ذلك.
الرجاء زيارة موقعنا: *www.johnknoxinstitute.org*

القسّ كورنيلس هارينك هو خادم فخريّ في كنيسة Gereformeerde Gemeente في هولندا.
www.gergeminfo.nl

وحدة

قانون إيمان الرسل

١٣ محاضرة

مقدّم المحاضرة: القسّ كورنيلس هارينك

١. المقدّمة

٢. البند ١ – الله الآب والخلق

٣. البند ٢ – الرب يسوع المسيح، ابن الله الوحيد

٤. البند ٣ – الحَبَل وولادة المُخلّص العُذريّة

٥. البند ٤ – المسيح المتألّم

٦. البند ٥ – قيامة المسيح

٧. البند ٦ – تمجيد المسيح

٨. البند ٧ – المسيح كديّان الأحياء والأموات

٩. البند ٨ – الله الروح القدس

١٠. البند ٩ – كنيسة المسيح الجامعة

١١. البند ١٠ – مغفرة الخطايا

١٢. البند ١١ – قيامة الجسد

١٣. البند ١٢ – الحياة الأبديّة

قانون إيمان الرسل

القسّ كورنيلس هارينك

المحاضرة ٥:

البند ٤: آلام المسيح

عزيزي المستمع، يعترف البند الرابع من قانون إيمان الرسل بما يلي فيما يتعلّق بربّنا يسوع المسيح: "وتألّم في عهد بيلاطس البنطيّ، وصُلِبَ ومات وقُبِرَ، ونزل إلى الهاوية."

ينص قانون الإيمان في المقام الأوّل على أنّ المسيح تألّم. يواجهنا الألم في هذا العالم بأسئلة عميقة. وقد طُرح هذا السؤال على مرّ العصور: كيف يمكن أن يكون هناك ألم كثير في عالم يسود عليه إله كليّ القدرة والصلاة؟ وباعتباره كليّ القدرة، عليه أن يكون قادرًا على حمايتنا من التعرّض للكوارث والأمراض والألم والموت. ألا يرغب الله، في صلاحه، ألّا تعاني مخلوقاته بالقدر الذي يعانونه؟ ومع ذلك، فإن الله يجعلنا نعاني. بمجرّد أن يتحدّث إنسان مع غير المؤمن عن الله، سيعترض قائلًا: "لو كان إلهك صالحًا وقديرًا كما تدّعي، فلماذا يفشل في إيجاد حلّ بشأن كلّ المعاناة في هذا العالم؟" ثمّ سيتابع قائلًا: "أنا لا أريد علاقة مع إله يسمح للناس أن تتألّم."

ماذا ينبغي أن نجيب هؤلاء الناس؟ أوّلًا، يوجد مُسبّب للألم. فالكتاب المقدس يفترض أن الألم والموت هما نتيجة الخطيئة. فبسبب عصيان أبوَينا الأوّلَيْن آدم وحواء، اجتاح شرّ رهيب العالم: هو الخطيئة. وفقط عندما نأخذ هذا في الاعتبار، يمكننا أن نفسّر حقيقة الألم والموت. كان هناك وقت لم يكن فيه أي ألم: كان كلّ شيء بخير. نقرأ في تكوين ١: ٣١: "ورأى الله كلّ ما صنعه فإذا هو حسن جدًّا." لم يكن الألم موجودًا في العالم الذي خلقه الله. ولكن بالخطيئة، جلب الإنسان الألم والموت إلى العالم.

بعد السقوط في الخطيّة، قال الله لحواء: "تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلَادًا" (تكوين ٣: ١٦). وقال لآدم:

"لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ ٱمْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلًا: لَا تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ ٱلْأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِٱلتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ... لِأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ" (تكوين ٣: ١٧ و١٩). الألم والموت هما نتيجة الخطيئة. يكتب بولس في رومية ٥: ١٢: "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ ٱلْخَطِيَّةُ إِلَى ٱلْعَالَمِ، وَبِٱلْخَطِيَّةِ ٱلْمَوْتُ." لولا الخطيئة لما كان للموت بداية. الخطيئة هي رحم أحزاننا وآلامنا. لا بُدّ لنا دائمًا أن نعود بكلّ أسئلتنا، إلى سقوط آدم وحواء في الجنّة. ولا بُدّ لنا أن نُرجعَ كلّ الألم إلى فعل العصيان النيابي الذي وقع فيه أبوانا الأوّلان في جنّة عدن. ولا بُدّ وأن ننظر إلى الخطيئة باعتبارها سببًا للألم والموت. حيث تكون الخطيّة، لا بُدّ وأن يكون هناك ألم وموت. وبدون أخذ هذا في عين الاعتبار، سيبقى الألم لغزًا عظيمًا.

ولكن يوجد مثال واحد عن ألم غير اعتيادي وموت رهيب، لا تنطبق عليهما هذه الحقيقة. إنّها آلام يسوع. لم تكن فيه خطيئة. يتحدّث الكتاب المقدّس عنه بأنّه "الذي لم يعرف خطيئة" (٢ كورنثوس ٥: ٢١). كان بلا خطيئة، كاملًا، وطاهرًا. ومع ذلك، عانى يسوع الكامل، غير المدنّس، والقدّوس. احتقره الناس وكرهوه. جرّبه الشيطان. تخلّى عنه الله. مات موت مجرم: موت لعنة الصلب المؤلم. إنّه سرّ الأسرار: إنّه أعمق وأظلم طُرق الله. كيف يمكن لمِثْل هذا الرجل الكامل، الذي لم يعرف أو يرتكب الخطيئة قطّ، لكنّه أحبَّ اللهَ فوق كلّ شيء، وأحبَّ قريبَه كنفسه، أنْ يعاني بشدّة ويموت هذه الميتة الرهيبة؟

الحلّ الصحيح الوحيد لهذا اللغز يتلخّص في العقيدة الكتابيّة الخاصّة بالكفّارة، والتي تم تأمينها بضمانة المسيح وكبديل عنّا. ففي رّسالة كورنثوس الثانية ٥: ٢١، نقرأ: "لأنه جعل الذي لم يعرف خطيّة، خطيّة لأجلنا، لنصير نحن برّ الله فيه." تألّم يسوع. وسُمّي برجل الأحزان. ويتحدّث إشعياء عن المسيح بأنّه "رجل أوجاع ومختبر الحزن" (إشعياء ٥٣: ٣). لقد تألّم يسوع جسديًّا. فقد عانى من الجوع والعطش والتعب والألم. وبصق عليه الناس وأهانوه. وجلدوه وضربوه، ومات صلبًا ميتة مؤلمة جدًّا.

ولكن يسوع عانى بالروح أكثر من أيّ شيء آخر. فقد سخر منه الناس واحتقروه وأنكروه وخانوه وشتموه. تألّم بسبب

تجارب الشيطان، وإنكار بطرس، وخيانة يهوذا، ورفض شعبه. وتألّم بسبب غضب الله المقدّس الذي أثارته الخطيئة. وفي بستان جثسيماني، كان قلقًا ومضطربًا بشأن الكأس التي كان عليه أن يشربَها، حتّى أنّ عرقَه تحوّل إلى قطرات كبيرة من الدم تسقط على الأرض، وأعلن: "نفسي حزينة جدًّا حتّى الموت" (متى ٢٦: ٣٨). كان يعلم ما ينتظره. شعر يسوع بغضب الله الرهيب ضدّ الخطيئة وتحمّلَه. وتألّم بسبب تخلّي الله عنه على الصليب. فقد صرخ قائلًا: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" (متى ٢٧: ٤٦).

ولماذا خضع لمثل هذا الألم؟ لأنّه حملَ خطايا شعبه. في المزمور ٤٠، نسمع المسيح يقول: " مُحْرَقَةً وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ. حِينَئِذٍ قُلْتُ: هَأَنَذَا جِئْتُ. بِدَرْجِ ٱلْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي." (مزمور ٤٠: ٦-٧). عندما رأى ابن الإنسان أنّ كلّ الذبائح لا تستطيع أنْ تزيل الخطيئة وتُخلّص المختارين من انتقام الله البارّ، أعلن عن استعداده أن يصبح بديلًا عنهم. وبالتالي، كان عليه أن يتحمّل غضبَ الله ضدّ الخطيئة بدلًا عنهم. يشهد بطرس: "فَإِنَّ ٱلْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ ٱلْخَطَايَا، ٱلْبَارُّ مِنْ أَجْلِ ٱلْأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى ٱللهِ" (١ بطرس ٣: ١٨). كانت آلام يسوع نيابةً عن شعبه. لقد تألم بصفته الضامن والوسيط لشعبه. تحدّث إشعياء عن هذا حين قال: "وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلَامِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا" (إشعياء ٥٣: ٥). لم تكن آلامه الشديدة بسبب خطاياه الشخصيّة، بل بسبب خطايانا وجرائِمنا. جُرِح ليس لأجل معاصيه، بل لأجل معاصينا. جُرِح ليس لأجل آثامه، بل لأجل آثامنا. لقد تحمّل عقابَنا. وحمل على نفسه لعنة الناموس التي تعديّنا عليه.

هذا يظهر لنا محبّة المسيح العجيبة، التي يقول عنها الرسول: "فَإِنَّهُ بِٱلْجَهْدِ يَمُوتُ أَحَدٌ لِأَجْلِ بَارٍّ. رُبَّمَا لِأَجْلِ ٱلصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضًا أَنْ يَمُوتَ. وَلَكِنَّ ٱللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ ٱلْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا." (رومية ٥: ٧ و٨). وبصفته الراعي الصالح، بذل حياته عن خرافه (يوحنا ١٠: ١١). قد يحتقر الأشرار عقيدة الاستبدال. وقد يقول الخطاة المتكبّرون: "ليس من الضروريّ أنْ يموتَ شخص آخر لأجل خطاياي." ومع ذلك، فإنّ أعظم دهشة للخاطئ التائب والمؤمن أن يرى يسوع يموت لأجل خطاياه. فينظر إليه بدهشة ويقول: "لقد أخذ مكاني. لقد

حَمَلَ خطاياي وتحمّل عقابي."

يقول قانون إيمان الرسل: "تألّم في عهد بيلاطس البنطيّ." ومن بين الأسماء العديدة المنسيّة، سيظلّ اسم بيلاطس البنطي في الأذهان إلى الأبد، باعتباره الرجل الذي كان مسؤولًا عن صلب يسوع. ومع ذلك، لم يتألّم يسوع في عهد بيلاطس البنطي فقط. كانت حياته كلُّها حياة ألم. فلماذا إذن يحصر قانون الإيمان الرسولي آلامه في ما حدث في عهد بيلاطس البنطي؟ عندما يعترف قانون إيمان الرسل بأنّ يسوع تألّم في عهد بيلاطس البنطي، فإنّه لا يقصد أنّ يسوع تألّم فقط عندما أذلّه بيلاطس، الحاكم الروماني، وجلده وأدانه. إنّه يقول ببساطة إن آلام يسوع حدثت في عهد بيلاطس البنطي. يتوافق هذا التعيين مع ما هو مُسجّل في الروايات القديمة عن استشهاد المؤمنين. نقرأ فيها أنّ شهيدًا تألّم في عهد القيصر الروماني دوميتيان، وآخر في عهد جوليان أو نيرون، إلخ. يتوافق قانون إيمان الرسل مع هذه اللغة، فيقول: "الذي تألّم في عهد بيلاطس البنطي." كانت آلام يسوع تحت السلطة القانونيّة لبيلاطس البنطيّ.

إن آلام المسيح وموته على الصليب مرتبطان بالتاريخ. فمن المُسلّم به كحقيقة تاريخيّة أنّ المسيح تألّم تحت السلطة القانونية للحاكم بيلاطس البنطي. وهكذا، فإنّ آلام المسيح وصلبه ليست مُجرّد قصّة. إنّ اسم بيلاطس البنطي يجعلها حقيقية وواقعية. فضلًا عن ذلك، نعلم من هذا الاسم أنّ قاضيًا شرعيًّا كان له دور فعّال في آلام المسيح وموته. لم يُقتَل المسيح رجمًا حتّى الموت في انتفاضة شعبيّة. ولم يُلق من فوق صخرة شديدة الانحدار إلى واد عميق، كما أراد أهل الناصرة أنْ يفعلوا به. ولم يُقطع رأسه في عزلة السجن مثل يوحنّا المعمدان. بل حُكِم على المسيح بالموت صلبًا، خلال مُحاكمة علنيّة، وأعدمه قاضٍ مُعيّن قانونيًّا. لقد قضى الله أن تكون الأحداث على هذا الشكل، حتّى أنّ المسيح أُدين قضائيًّا. لقد أكّد بيلاطس القاضي قضائيًّا أنّ يسوع بريء، وأعلن: "لأنّي لا أجدُ عِلَّة في هذا الإنسان" (لوقا ٢٣: ٤). ومع ذلك، حَكَمَ على يسوع، رغم براءَته، بالإعدام صلبًا.

تألّم يسوع كحَمَلِ الله البريء. وبذلك، جعل حكم الله لا يُنفّذ على قطيعه، بل على نفسه، على الراعي الصالح للقطيع.

لقد تحمّل لعنة الخطاة، الذين لعنهم الناموس، لكي يكون مُخلِّص الملعونين. يوجد ضمانة في موت يسوع الكفّاري. لقد قدّم المسيح كفّارة كاملة. لذلك، لا يمكن للغضب أنْ يقعَ على الخاطئ التائب المرتعد، الذي يبحث عن ملجأ في الصليب. لن يطلبَ اللهُ الدفعَ مرّتين: أوّلًا من المُخلّص المتألّم، ثمّ مرّة أخرى من الخاطئ الذي يحتمي في بِرّ المسيح. هذا هو الإنجيل المبارك لخلاص الخطاة عن طريق الموت البديلي. سُدّد الدَّيْن وأُزيلت اللعنة. تؤكّد لنا رسالة رومية ٨: ١: "إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ."

يعترف قانون إيمان الرسل أنّ يسوع قد صُلب. فقد صرخَ الناس: "أصلبه، أصلبه" (لوقا ٢٣: ٢١)، واستسلم بيلاطس البنطيّ لمطالبهم، وحكم على يسوع بالصلب. كان الصلب أحد أكثر أشكال الموت إيلامًا. كان موتًا مروّعًا لدرجة أنّ الحكومة الرومانيّة منعت صلب مواطن روماني. ومع ذلك، تعرّض يسوع موت الصلب المؤلم والمروّع.

في يوم الخمسين، أعلن بطرس أنّ ما حدث لم يكن بالصدفة. وربط موت يسوع بالمشورة الأبديّة وعِلم الله المُسبق، قائلًا: "هذا أخذتموه مُسلَّمًا بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق، وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه" (أعمال الرسل ٢: ٢٣). كان مُقرّرٌ في مشورة الله أنْ يموت يسوع على الصليب. لم يكن بيلاطس البنطي أو السنهدريم هو الذي قاد يسوع إلى الصليب، بل محبّةُ الله وقصدُه. أراد سكّان الناصرة أن يرموا بيسوع من فوق الجُرف، وأراد اليهود الغاضبون رجمه، وأراد السنهدريم قتله سرًّا. ومع ذلك، فشلت كلُّ هذه المحاولات لقتل يسوع، لأنّ الله كان قد قصدَ أنْ يموت ميتة محدّدة: كان عليه أن يموت على الصليب. كان عليه أن يموت ميتة ملعونة. الموت على الصليب كان ملعونًا من الله. يقول ناموس الله في التثنية ٢١: ٢٣: "لِأَنَّ ٱلْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ ٱللهِ." لذلك كان لا بدّ من رفع جسد المصلوب عن الصليب ودفنه قبل حلول الليل. وإلّا فإنّ اللعنة التي حلّت على المصلوب ستحلّ الآن على الأمّة كلّها. مات يسوع ميتة ملعونة من الله، ليزيل اللعنة التي حلّت علينا. لعنة الله حلّت علينا جميعًا. من يخالف ناموس الله يخضع بذلك للعنة الناموس، لأنّه مكتوب: "ملعون كلّ من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به" (غلاطية

٣: ١٠). ولكن، بما أنّ يسوع مات ملعونًا على الصليب، تمكّن الرسول أن يكتب: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنّه مكتوب: ملعون كلّ من عُلّق على خشبة" (غلاطية ٣: ١٣).

إنّ يسوع وصليبَه، يشكّلان الآن قلبَ الإنجيل. كتب الرسول: "وَلَكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِٱلْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً" (١ كورنثوس ١: ٢٣). إنّ العلاج الوحيد للعالم هو الصليب.

يقول قانون إيمان الرسل إنّ يسوع مات. لماذا مات؟ هو لم يعرف الخطيئة قطّ، ولم يرتكبها. كيف يمكن أن يموت في غياب الخطيئة؟ أليس الموت عقابًا لها؟ ألم يقل الكتاب المقدّس: "أجرة الخطيئة هي موت" (رومية ٦: ٢٣)؟ كيف كان من الممكن أن يموت يسوع الذي كان بلا خطيّة؟ لم يمت يسوع عقابًا عن خطيّة شخصيّة، بل من أجل خطايا شعبه. مات ليكفلنا. ولكي يكون مُخلّصًا لشعبه، لم يكن عليه أنْ يتألم ويُصلب فحسب، بل كان عليه أيضًا أن يموت كعقوبة للخطيئة.

قال الله لآدم وحواء: " مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ ٱلْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا. وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا، لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (تكوين ٢: ١٦ و١٧). كانت جنّة عدن الرائعة والشهيّة موطنًا لآدم وحواء. سُمح لهما أن يأكلا من جميع الأشجار والتمتّع بالثمار، باستثناء شجرة واحدة، هي شجرة معرفة الخير والشرّ. ومن خلال تلك الشجرة، علّمهما الله أنّهما خاضعان له، وأنه هو الذي سيحدّد ما هو خير وما هو شرّ. من المتأصّل في لاهوته حقيقة أنّه هو الذي يُحدّد ما هو خير وما هو شرّ. كان آدم وحوّاء مُلزَمَيْن بالاعتراف بالربّ باعتباره الإله الذي كانا خاضعَيْن له. ولكن عصى آدم وحواء الله. واستسلما لتجربة الشيطان، وأكلا من الشجرة المحرّمة. كان الشيطان قد أخبرهما أنّه عندما يأكلان من شجرة معرفة الخير والشر، سيصبحان مثل الله. قال لهما: "بَلِ ٱللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلَانِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَٱللهِ عَارِفَيْنِ ٱلْخَيْرَ وَٱلشَّرَّ" (تكوين ٣: ٥). ثمّ أكل الإنسان من ثمرة شجرة معرفة الخير والشرّ، لكي يصبحَ مثل الله. ومع ذلك، بدلًا من أن يصبحا مثل الله، امتلأ آدم وحواء بالقلق والخوف، واختبآ من الله. لقد فقدا براءتهما وسلامهما الداخلي. أدركا أنّ الشيطان خدعَهما.

دخل الموت إلى العالم بسبب هذه الخطيئة، كما ورد في رسالة رومية ٥: ١٢: "بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت." ورغم أنّ كثيرين قد يزعمون صراحة أنّ الموتَ عنصر أساسيّ في حياة الإنسان، ويجب قبوله كحقيقة طبيعيّة، إلّا أنّ الكتاب المقدّس يناقض هذا الرأي. فهو يعلّمنا أنّ الموتَ هو عقاب الله للخطيئة. لهذا السبب، كان على يسوع، من أجل فداء شعبه من الموت، أن يموت من أجلهم: "لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كلّ واحد" (عبرانيين ٢: ٩). وبموت يسوع، أُعدم الموت، وسُلبت قوّتُه.

كان موت يسوع أكثر من مُجرّد موت إنسان صالح. كان موتُ ابن الله الذي أخذَ طبيعتَنا البشريّة. كان موت الله الإنسان، الوسيط، يسوع المسيح: البديل عن شعبه. لم يكن موته مصيرًا محتومًا عاناه، بل كان عملًا متقصّدًا. لم تُنتزع منه الحياة، بل بذلَ حياتَه. قال: "أنا أضعها من ذاتي. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً" (يوحنا ١٠: ١٨). كان موت يسوع أكثر من مُجرّد موت شهيد. كان موته ذبيحة عن الخطيّة. لقد تحمّل، بصفته الضامن والمخلّص لشعبه المختار، العقوبة التي كانت ردًّا على الخطية. بذل نفسَه وحياتَه كذبيحة خطيّة، حتّى ينتصر بذلك على الموت ويستحقّ الحياة نيابة عنا: "لأنّه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدّسين" (عبرانيين ١٠: ١٤).

كانت لذبيحة المسيح قوّة المصالحة، لأنّها كانت ذبيحة حياة مُقدّسة وكاملة: حياة مُكرّسة لله والقريب. إنّ ذبيحة الطاعة الكاملة لشريعة الله قد أوفت بمطالب عدالة الله. لقد تمّت المصالحة مع الله بموت المسيح. في رومية ٥: ١٠، يقول الرسول: "لأنّه إن كنا ونحن أعداء قد تصالحنا مع الله بموت ابنه." لقد سلب موت المسيح الموتَ قوَّتَه. تمّ قتل الموت. لقد أزال موت المسيح الكفّاري لدغة الموت. لقد فقد الموت لدغته عندما دفع المسيح عقوبة خطايانا، وأسلم حياته فدية عن الخطية. لقد حمل دمُه اللعنة. لقد تمّ نزع سلاح مَلِكِ الرعب. بالنسبة للمؤمنين الحقيقيّين، لم يعد الموت عدوًّا رهيبًا. لقد جعل المسيح الموتَ بوّابةً إلى الحياة الأبديّة. والآن، يستطيع الرسول أن يقول: "لي الحياة هي المسيح، والموت هو ربح" (فيلبي ١: ٢١).

يقول قانون إيمان الرسل إنّ يسوع لم يمت فقط، بل دُفن أيضًا. لقد حرص الله على دفن يسوع. جعل يوسف الرامي الغنيّ قبرَه متاحًا. وبذلك تحقّقت النبوءة: "وَجُعِلَ مَعَ ٱلْأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ" (إشعياء ٥٣: ٩). مات يسوع المسيح ودُفن. ودُفن جسده في القبر. والقبر هو مكان الموتى. يتمّ تأكيد موت الإنسان بشكل قاطع من خلال دفنه. ودفن يسوع هو الدليل على أنّه مات حقًّا. وبالتالي، ليس صحيحًا ما ورد في سورة ٤ من القرآن، بأنّ يسوع لم يمت، بل رفعه الله إلى السماء. لقد مات يسوع بالفعل، لأنّه دُفن. وتقبل الكنيسة المسيحيّة شهادة الرسول بولس: " أَنَّ ٱلْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ ٱلْكُتُبِ، ٤ وَأَنَّهُ دُفِنَ... فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ حَسَبَ ٱلْكُتُبِ" (١ كورنثوس ١٥: ٣ و٤). عاش يسوع حياة إخوته كلّ المؤمنين من البداية إلى النهاية. لقد عاش الحياة بالمعنى الكامل للكلمة: وُلِد ومات ودُفن.

إنَّ دفنَ المسيح هو مصدر عزاء لأولاد الله. فقد جرّد القبر البارد المظلم من رُعبه. فالقبر الآن، بالنسبة للمسيحيّ، وفقًا لكلمة الملاك في صباح عيد الفصح، هو "المكان الذي اضطجع فيه الربّ" (متى ٢٨: ٦). لقد رَفع يسوع الرعب من القبر، وملأه بالنور. وبذلك فَقَدَ القبرُ ظلامَه. تمّ تقديسه، وأصبح مكانَ راحةٍ لأجساد المؤمنين، حيث ستستريح أجسادهم إلى يوم القيامة. قال الربّ لدانيال: "تَسْتَرِيحَ، وتَقُومَ لِقُرعَتِكَ فِي نِهَايَةِ ٱلْأَيَّامِ" (دانيال ١٢: ١٣).

يعترف قانون إيمان الرسل أيضًا بأنّ المسيح "نزل إلى الهاوية." ماذا نفهم من هذا؟ يوجد آراء مختلفة حول هذا الاعتراف. فالكنيسة الكاثوليكية الرومانيّة تستخدم هذا الاعتراف كدليل على عقيدة المطهر، فتفترض أنّ المسيح نزل إلى المطهر ليفتدي المؤمنين منه. أما مارتن لوثر، فأخذه حرفيًّا، وآمن أنّه يعني أنّ المسيح نزل إلى الجحيم، ليعلن للشيطان والملعونين انتصاره على الشيطان والموت. أمّا جون كالفن، فقد أقرّ بأن "النزول إلى الهاوية" يعني أنّ المسيح، خلال حياته، عانى ما نستحقّ أن نعانيه في الجحيم. وقد وضع هذا الحدث قبل موت المسيح. ولكن الترتيب الزمني في قانون إيمان الرسل يشير إلى أن النزول إلى الهاوية حدث بعد دفن المسيح. ويقول قانون الإيمان: "صُلِبَ ومات ودُفِن. ثم نزل إلى الهاوية." وهذا يثير السؤال: ماذا حدث ليسوع بين الجمعة العظيمة وصباح الأحد؟ أين كان

يسوع مُقيمًا؟ كانت روحه بين يدَي الله الآب، لأنّ يسوع، وهو يحتضر، كان قد أودع روحَه بين يدي أبيه الأمينتَيْن. في لوقا ٢٣: ٤٦، نقرأ أنّه "صرخ بصوت عظيم... يا أبتاه، بين يدَيْك أستودع روحي." دُفن جسدُه وظلّ في القبر حتّى صباح القيامة. فكيف إذن نفكر في "النزول إلى الهاوية " على أنّه حدثَ بعد موته؟ إنّ كلمة "هاوية"، كما وردت في قانون إيمان الرسل، هي الكلمة اليونانيّة، هايديس، والتي تشير إلى مسكن الموتى. هايديس ليست مكان العقاب الأبديّ. هي القبر. تشير كلمة "الموتى" هنا إلى الأجساد الخالية من روحها. إنّها حالة الانفصال بين الجسد والروح، والتي يشار إليها أيضًا بالحالة الوسطيّة.

في يوم القيامة الأخيرة، سوف تتّحد الروح والجسد. ومن هنا جاء تسمية هذه الحالة بالحالة الوسطيّة. لقد أمضى يسوع ثلاثة أيّام وليال في الهاوية، أي في القبر، بين الأموات. وفي القبر، لم يكن جسد يسوع قد اختبر التحلّل. لقد تنبّأ عن المسيح أنّه على الرغم من إقامته في القبر، إلّا أنه لن يختبر فساد الجسد. يقول المسيح نبويًّا في المزمور ١٦: ١٠، "لن تتركَ نفسي في الهاوية. ولن تدع قدوسك يرى فسادًا." يقتبس بطرس هذه النبوّة في يوم الخمسين، ويطبّقها على قيامة يسوع من بين الأموات، ويكرز للناس أنّ يسوع عاد إلى الحياة من الهاوية، من القبر، عالم الأموات، مسكن الجثث، وأنّ جسدَه لم يفسد بين الجمعة العظيمة وعيد الفصح. لقد كرز بطرس في يوم الخمسين بأنّ كلمات داود عن المسيح قد تحقّقت في دفن يسوع: "لأنّك لن تترك نفسي في الهاوية ولن تدع قدّوسك يرى فساداً." هذا هو المعنى الكتابي لعبارة "نزل إلى الهاوية."

" تألّم يسوع، وصُلب، ومات، ودُفن، ونزل إلى الجحيم". هذه الكلمات هي الإنجيل بأكمله في جوهره. لقد انخرط يسوع في كلّ هذا، بصفته الضامن والمخلّص لكنيسته، مختاري الله. إنّ العزاء الشخصيّ في هذه الحقيقة هو معرفة أنّه فعل كلّ ذلك من أجلي. قد يقول المؤمن الحقيقي: "لقد فعل يسوع كلّ هذا بدلًا عنّي. لقد تألّم من أجلي، وصُلب من أجلي، ومات من أجلي، ودُفن ونزل إلى القبر من أجلي، حتّى أحظى أنا الخاطئ بالحياة الأبدية!" لن يهلك أبدًا الذين وضعوا ثقتَهم فيه. لذلك يُرنّم شعبُ الله:

أرنّم لموت مُخلّصي العجيب؛

لقد انتصر حين سقط.

قد أُكمل! قال ذلك وهو يلفظ أنفاسَه

فاهتزّت لذلك أبوابُ الجحيم.